تفسير ابن كثير

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهما وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش : عن أبي صالح عن أبي هريرة Bه قال : قال النبي صلى ا عليه وسلّم [إن ا لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي] وقوله { ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه } هذه اللام هي الموطئة للقسم فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده { إلى ميقات يوم معلوم } وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه أي لا شك فيه عند عباده المؤمنين فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الاية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عبيد ا بن أحمد بن عقبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محصن بن عتبة اليماني عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال : [سئل رسول ا صلى ا عليه وسلّم عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء ؟ قال والذي نفسي بيده إن فيه لماء إن أولياء ا ليردون حياض الأنبياء ويبعث ا تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء] هذا حديث غريب وفي الترمذي [إن لكل نبي حوضا وأرجو أن أكون أكثرهم واردا] وقوله { الذين خسروا أنفسهم } أي يوم القيامة { فهم لا يؤمنون } أي لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم ثم قال تعالى : { وله ما سكن في الليل والنهار } أي كل دابة في السموات والأرض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتدبيره لا إله إلا هو { وهو السميع العليم } أي السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد صلى ا عليه وسلّم الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس إلى صراط ا المستقيم { قل أغير ا أتخذ وليا فاطر السموات والأرض } كقوله { قل أفغير ا تأمروني أعبد أيها الجاهلون } والمعنى لا أتخذ وليا إلا ا وحده لا شريك له فإنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق { وهو يطعم ولا يطعم } أي وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم كما قال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } الاية وقرأ بعضهم ههنا { وهو يطعم ولا يطعم } أي لا يأكل وفي حديث سهيل بن صالح : عن أبيه عن أبي هريرة Bه قال : دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي صلى ا عليه وسلّم على طعام فانطلقنا معه فلما طعم النبي صلى ا عليه وسلّم وغسل يديه قال [الحمد الذي يطعم ولا يطعم ومن علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا من الشراب وكسانا من العري وكل بلاء حسن أبلانا الحمد غير مودع ربي ولا مكافا ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد الذي أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العري وهدانا من الضلال وبصرنا من

العمى وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد رب العالمين] { قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم } أي من هذه الأمة { ولا تكونن من المشركين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم } يعني يوم القيامة { من يصرف عنه } أي العذاب { يومئذ فقد رحمه } يعني C { وذلك الفوز المبين } كقوله { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز } والفوز حصول الربح ونفي الخسارة